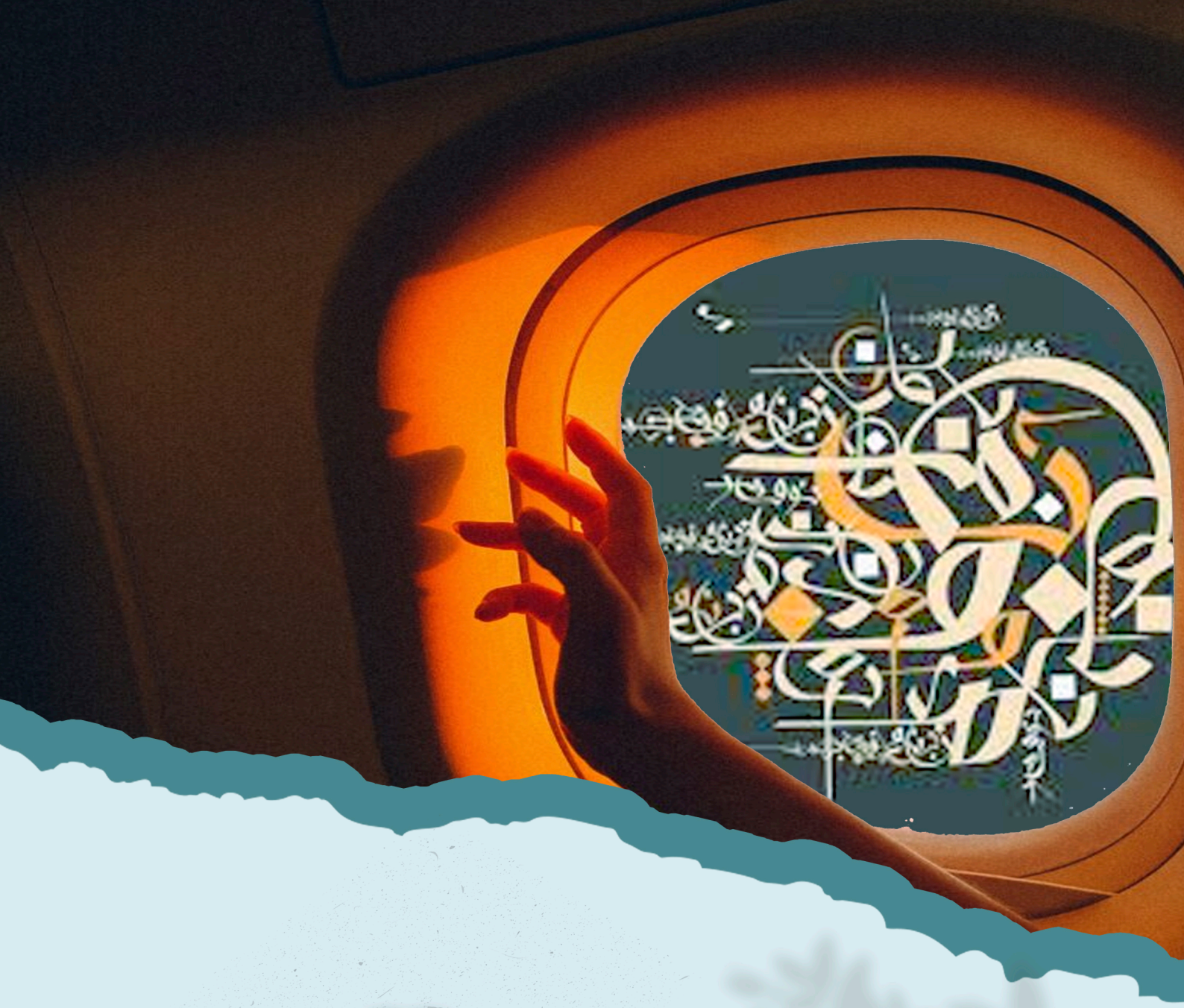

العربية
في بلدان غير العربية

أ.د. أحمد مصطفى أبو الخير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العربية في بلدان غير العربية

ورقة بحثية

مؤتمر علم اللغة التطبيقي

أعدها الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

خبير جامعة جالا الإسلامية – تايلاند

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

في سنة ١٩٩٨ م وعلى هامش مؤتمر الدراسات الإسلامية في جنوب شرق آسيا، والذي انعقد في جامعة الأمير سنقلة بمدينة فطاني (جنوب تايلاند) على هامش ذياك المؤتمر كنت أتحدث عن لغتنا العربية، فهي لغة عالمية واسعة الانتشار في العالم، مؤهلة لانتشار أوسع، هي لغة غير حبيسة على أي حال، وبأدلة ثمانية كنت أسوقها معددًا إياها.

كان يجلس معنا المستشرق الهولندي يوهان [١] مولمان، من جامعة ليدن الهولندية، تيك الجامعة الذائع صيتُها، سمع الرجل ما أقول وأبسط، رد بأنه كتب بحثًا باللغة الإنجليزية حول العربية في أندونيسيا، والذي نُشِر ضمن إصدار خاص من المجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقي، والذي جاء بعنوان: Arabic outside the Arab world وذاك في الحاضرة الهندية (دلهى الجديدة) ١٩٩٤ م.

عُدْتُ إلى مصرَ، أرسل الرجل المقالة، نظرت فيها فإذا هي بالغة الأهمية والفائدة، بدأت أترجمها إلى العربية، ثم أشركت معي الزميل الدكتور أحمد فريد من جامعة المنصورة، فترجمنا معًا مقالة مولمان، وقبلها مقدمة الإصدار التي سطرها المستشرق الهولندي ذائع الصِّيت كيس فيرستيخ، من الجامعة الكاثوليكية في مدينة (نيمخن) الهولندية.

الإصدار كله عمل غربي (أوربي بالتحديد) وإن اشترك فيه بعض العرب كما سيأتي، فيرستيخ محرر العدد ذكر في مقدمة الإصدار أن عددًا واحدًا من هذه المجلة لم يكُ كافيًا لتغطية الموضوع: (العربية خارج العالم العربي) كما أشار إلى أن صورة العربية لا تظهر بوضوح إلا إذا نظرنا إلى وضعها خارج الوطن العربي، ومن ثَم سعى القائمون على هذا الإصدار نحو هذا الهدف.

وأشار إلى نقص واضح في هذا الإصدار أنه لم يقدم شيئًا عن اللغة العربية في القارة الإفريقية[٢]، وهي مسألة مهمة وحيوية، تمنى أن تكون في المستقبل، هذا الإصدار إذن عمل أوربي واضح- وإن

---

[١] قضى في الجزائر خمس سنوات، وهو متزوج من سيدة جزائرية، كما قضى في أندونيسيا عشر سنوات.

[٢] مولمان : اللغة العربية في أندونيسيا، ترجمة د. أحمد أبو الخير، د.أحمد فريد، القاهرة ٢٠٠٢،ص ١٩، ٢٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

أسهم فيه بعض العرب- نُشِر باللغة الإنجليزية، وإن صدر في الحاضرة الهندية جنوب آسيا، وإن وقعت الحاضرة دلهى، أو (دهلى) شمال هندها.

كانت الترجمة تمر بمراحل، أولًا الترجمة سويا سويا، والاتفاق الكامل على كل كلمة نكتبها، أقوم بمراجعتها والتقديم لها، والتعليق على ما يحتاج إلى التعليق، تمكنا نحن الاثنين من ترجمة بحث مولمان ومقدمة المحرر، ثم طبعناهما عام ٢٠٠٢ م.

وهذا ما شجعنا أن نطلبَ صورةً من المجلة من المحرر نفسه (فيرستيخ) والذي تفضل بإرسال باقي البحوث، التي بدأنا نترجمها تباعًا، هذى البحوث تنقسم قسمين:

الأول: اللغة العربية في البلدان والأقطار الآتية:

- أندونيسيا.
- إيران.
- مالطة.
- فلسطين المحتلة.
- الولايات المتحدة الأمريكية.

الثاني: المهاجرون العرب إلى الأقطار الآتية:

- البرازيل.
- لندن.
- هولندة.
- ألمانيا.

كل بلد حظي ببحث واحد، عدا هولندة، حظيت ببحثين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

أعتقد أن القسم الأول كان يبحث في نقطة تهم الغرب، أنها كيف أثرت العربية وبهذه الصورة، ليس في اللغات التي يتحدث بها المسلمون؛ بل غير المسلمين.

أما القسم الثاني حول المهاجرين العرب فأتصور من خلال قراءة هاتيك البحوث أن أوربة قلقة بشأن هؤلاء المهاجرين، خاصة الأطفال، من الجيل الثاني والثالث، سؤال محير في الذهن الأوروبي، هو: كل المؤشرات تشير إلى أن العربية تتأكل على ألسنة هؤلاء الأطفال، هذا صح وصحيح، وحق وحقيق، ولكن- آه من ولكن- إذا أصبح هؤلاء الأطفال آباء وأمهات هل يصيرون ويصِرْنَ أوربيات مسيحيات عربيات، أوربيين مسيحيين غربيين، أم سيصبح الجميع مسلمين عربًا شرقيين ؟ هذا هو السؤال.

في القسم الأول نتطرق إلى مثالين:

الأول: العربية في أندونيسيا: رصد مولمان بكل مهارة واقتدار تأثير العربية في اللغة الأندونيسية، قبل أن نلخص جوانب هذا التأثير تجب الإشارة إلى أن هذه التسمية (اللغة الإندونيسية) أو (بهاسا أندونيسيا) جاءت بشكل خاص في الثامن والعشرين من أكتوبر ١٩٢٨ عندما قدم مؤتمر الشباب الوطني الأندونيسي مشروع:

- وطن واحد.
- أمة واحدة.
- لغة واحدة.

هذه اللغة الواحدة سُمِّيت Bahasa Indonesia وقبل استقلال أندونيسيا ١٢/٢٧/ ١٩٤٩م، تأكدت مكانة اللغة العربية الأندونيسية في دستور ١٩٤٥ [١]، ومعها اسمها.

[١] السابق، ص ٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

جدير بالذكر والتنويه أن اللغة الإندونيسية هي نفسها لغة الملايو التي يُقدَّر متكلموها الآن بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة في: (ماليزيا – براوناي – أندونيسيا – جنوب تايلاند –جنوب الفلبين)، وإن سُمِّيت في ماليزيا باللغة الماليزية، وتتميز بكثرة الألفاظ التي أتت إليها من اللغة الإنجليزية، لغة المحتل السابقة، وكذا أندونيسيا تأثرت الملايو باللغة الهولندية التي احتلت هذا البلد المسكين ٤٠٠ فقط، وفي جنوب تايلاند تأثرت لغة الملايو بالتايلاندية، وكذا في جنوب الفلبين.

لقد نفذ تأثير العربية من خلال:

- الكتابة بالحرف العربي إلى أن داهمه الحرف اللاتيني في العصر الحديث.
- استعارة الألفاظ والتعبيرات وحتى الصوامت.

هذا فقط ؟ كلا، لقد نفذ تأثير العربية إلى الصرف والنحو الأندونيسي، وحتى إلى نظام الكتابة، هذه هي الأمثلة:

١-هناك عدد من حروف الجر العربية تُرجمت إلى نظائرها في اللغة الأندونيسية، ما أدى إلى وجود تعبيرات تخالف الاستخدام التقليدي للغة الملايو.

٢-طريقة العربية في صياغة الصفات بإضافة باء النسب مع تاء التأنيث المربوطة لم تطبق على الكلمات من أصل عربي فقط، مثل:

- alami للمذكر.
- alamiah للمؤنث.
- abadi
- abadiah

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

بل طبقت هذي الآلية على الكلمات من أصل غير عربي أيضًا: مسيحى kristiani – المسيح kristian- ويعلق مولمان: ولا تزال هذه الآلية شديدة الشيوع حتى الوقت الحاضر[1].

٣- وقد اتضحت المكانة الخاصة باللغة العربية عند مناقشة إصلاح الكتابة الأندونيسية ١٩٧٢ م؛ إذ اتفق الجميع على نطق الكلمات المقترضة إلى اللغة الأندونيسية وكتابتها على القواعد العامة في اللغة الأندونيسية، ولكن تم استثناء الكلمات العربية ذات القيمة الدينية، والتي لا زالت تنطق حاليا بطريقة قريبة من نطقها في أصلها العربي[2].

ومن ناحية أخرى فإن الكلمات المقترضة من العربية إلى الأندونيسية تعبر عن الرقة والاحترام أكثر من الألفاظ ذات الأصل غير العربي.

آخر ما نذكره عن تأثير العربية في مفردات الأندونيسية أن هذا التأثير في المفردات وإن كان يعود في المقام الأول إلى عملية الأسلمة، فإن هذا التأثير وصل إلى ما هو أبعد من الدين الإسلامي والسكان المسلمين [3] إلى غيرهم.

بحث مولمان تناول بالإضافة إلى ما سبق:

١- الأشكال المختلفة لتعليم العربية: خاصة في الباسندان، والذي يسمى في ماليزيا وفطاني بالفندق، الباسندران معناها الكتاتيب أو المعاهد العربية، ويُسمى بالفندق لأن التلميذ يقيم إقامة كاملة في هذا النوع من المدارس على مدى الساعة، ولا يذهب إلى أهله إلا في العطلات، كما يشيد مولمان بالتطور الواضح الذي لحق بنظام الباسندران من زيادة أعداد الطالبات وتدريس العلوم الحديثة واللغات الأجنبية... إلخ، كما يستعرض تعليم العربية في المدارس الحكومية وفي الجامعات وفي التلفاز، ويعلق على كل هذا.

---

[1] مولمان ص ٣٨، ٣٩.

[2] السابق ص ٦٥.

[3] ص ٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

٢- انتشار الكتب العربية في ذياك البلد، والتبادل العلمي مع العالم العربي والمكانة الخاصة للغة العربية في المجتمع الأندونيسي، ومن ثَم يخلص إلى ما يلي:

إن تأثير العربية ليس مجرد قضية من قضايا الماضي؛ بل من قضايا الواقع الحاضر الراهن[١].

ونختم حديثنا عن العربية في أندونيسيا باقتباس طرف من كلام مولمان:

١- طبقًا لاستفتاء المشاهدين ١٩٩٢م كان برنامج تعليم العربية في التلفاز الحكومي من أكثر البرامج شعبيةً[٢].

٢- إن كثيرًا من الأندونيسين يُجِلُّون اللغة العربية، ليس لأنهم يعتبرونها قاطرة القيم والمعرفة الدينية فقط؛ ولكن بسبب الجمال المتأصل في اللغة العربية[٣]، وقد طرب أستاذنا الدكتور كمال بشر وغيره من المؤتمرين في مؤتمر جمعية لسان العرب ٢٠٠١ م عند سماع هذه العبارة الأخيرة، خاصة طرفها: (بسبب الجمال المتأصل في اللغة العربية).

وبعد أن أرسلنا إلى مولمان نبشره بترجمة بحثه سأل الرجل طامحًا: ماذا كان تأثير هذه الترجمة في العالم العربي؟ وقد سترنا الله وجبر كسرنا فقلنا له:

١- قُدِّمت هذه الترجمة إلى مؤتمر: (اللغة العربية في التعاون العربي المتكامل) الذي عُقِد في بيت العرب، جامعة الدول العربية بالحاضرة القاهرة ٢٠٠١ م، وقد أشاد بالبحث كثير من الأساتذة والإعلاميين.

---

[١] ص ٢٣.

[٢] ص ٥٩.

[٣] ص ٦٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

٢- ثم نُشر ملخص الترجمة في الأهرام الصباحية (القاهرية) كبرى الصحف العربية، ضمن[١] صفحة (قضايا وآراء) والتي جاءت تحت عنوان: (مصر ومسؤولية الحفاظ على اللغة العربية ونشرها خارج الحدود) إشراف الدكتور أحمد القرعى، وأستطيع بعد كلام مولمان أقول معقبًا:

١- إن الدور الأندونيسي واضح جدًّا في خدمة العربية ونشرها في منطقة جنوب شرق آسيا، وقد ظهر هذا جليًّا في مؤتمر ١٩٩٨ الذي أشير إليه في بداية الورقة؛ حيث كان الوفد الإندونيسي- رغم الأزمة المالية- سنتها من أكبر الوفود عددًا، وأكثرها نشاطًا، سواء في تقديم البحوث أو إدارة الجلسات، أو حتى زيارة المدارس العربية في جنوب تايلاند.

٢- وهذا اتحاد مدرسي اللغة العربية في أندونيسيا- خلال أقل من عشر سنوات- عقد خمسة مؤتمرات في أندونيسيا، منها مؤتمر أكتوبر ٢٠٠٩ الذي عقد تحت عنوان: اللغة العربية من المنظور الثقافي والاجتماعي.

وقد عقد في جامعة سومطرة الشمالية في مدينة (ميدان) الأندونيسية، الاتحاد المذكور له مجلة علمية محكمة صدر منها حتى عام ٢٠٠٩ ستة أعداد، مؤتمره التالي بعد مؤتمر ميدان سيكون في جاكرتا عام ٢٠١١ م.

المؤتمر كان مهرجانًا ضخمًا في قاعة تقترب من قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة، الحضور من أندونيسيا ومن خارجها كان كثيرًا جدًّا، من العالم العربي، من السعودية ومن مصر ومن الخليج، حتى قُدِّم للمؤتمر ما يزيد عن أربعين بحثًا، أما طلاب قسم اللغة العربية فكانوا يقفون على الجانبين يستقبلون ضيوف اللغة العربية.

مؤتمرات اللغة العربية هنا في هذه المنطقة، سواء في أندونيسيا أو ماليزيا أو تايلاند تختلف عن بعض مؤتمراتنا التي يُدعَى إليها المحاسيب فقط، ومن يُرجَى من ورائهم مصلحة، سواء من المصريين أو

---

(١) ص٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

غيرهم؛ بل إن التعامل مع المشترك في المؤتمر وتوقيره يعتمد على ما يظن أو يتوهم من فائدة تُرجى أو مصلحة تتوقع.

على أي حال، فإنه على هامش المؤتمر زرنا معهد الروضة الحسنة في ضواحي مدينة ميدان، المعهد به حوالي ١٦٠ مدرسًا ومدرسة، وما يزيد عن ألفى تلميذ، طلب منى ومن زميلي المصري أن نلتقيَ الطلاب والمدرسين في مسجد المعهد، وأن نتحدث من أعلى منبره، هذه صورة من اهتمام القوم في أندونيسيا بالعربية واحتفائهم ببني يَعْرُب.

والآن إلى النموذج الثاني من العربية خارج العالم العربي:

الثاني: اللغة العربية العربية في الولايات المتحدة الأمريكية، للدكتور مهدي العش، من جامعة أوهايو، المشكلة الرئيسة لدى الباحث هي أنهم يعلمون المستشرق الأمريكي فصحى المثقفين العرب، هؤلاء المثقفون ما ينطقون فصحاهم خالصة؛ بل يُقحِمون بعض عناصرَ من عاميتهم في كلامهم الفصيح، وعلى الجانب الآخر إذا تكلموا بالعامية حشروا فيها بعض العناصر الفصيحة.

ولكي يفهم الطالب الأمريكي كلام المثقفين العرب فإن عليه أن يحيط علمًا بأهم هذى العناصر العامية لهدفين اثنين:

١- فهم المستشرق لما يقول المثقف العربي وبشكل كامل.

٢- إذا تكلم هذا المستشرق مع المثقف العربي كان كلامه مستساغًا غيرَ مستهجَنٍ، مثل: (أبو الغيط - أبو الخير)، إن المستشرق سوف ينطق الاسمين بياء لينة ساكنة قبلها فتحة في المثالين، مما يدعو إلى استهجان بعض العرب الذين ينطقون بياء مد نصف ضيقة (ياء ممالة) وعامية، على ما هو المشهور في النطق العربي.

وعليه فإن الدكتور مهدي يرى العربية على هيئة خط، أحد طرفَيه العامية والآخر الفصحى، هكذا:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

إذا نطقت بالعامية أو كنت قريبًا من طرفها فإن عاميتك فيها شيء من الفصيح، وإذا تكلمت بالفصحى كان في فصيحك شيء من العامية، ولو كان قليلًا، هذا ما فهمتُ من بحث الدكتور مهدي.

وأستطيع أنقل إلى القارئ مقبتسات من كلامه في المترجمة المذكورة:

١- لا يوجد دواء واحد لكل أدواء التعليم والتعلم، سيما في تعليم العربية؛ حيث في الدنيا لا يوجد حل واحد وحيد لكل المشكلات، ولا دواء واحد وحيد لجميع الأمراض.

٢- عدم نقاء الفصحى في رأي صاحب الدراسة لدى المثقفين العرب، وتنوع استخدام العربي للغة ما بين الفصيح والعامي كما شرحه.

٣- تأتي اللغة العربية في المرتبة الرابعة من حيث صعوبةُ تعلمها لدى الطلاب الأمريكيين.

٤- تشير بعض البحوث المتسرعة إلى أن الحركة الإعرابية تقلص وجودها، فالجملة يمكن أن تُفهَمَ بدون إعراب، ولكن الدراسة أثبتت عكس هذا تمامًا، فالحركة الإعرابية باقية بشكل معقول في كلام مفحوصي الدراسة، برغم أنهم في الولايات المتحدة بعيدًا عن العالم العربي.

٥- لقد استقر الأمر على أن تدرس الفصحى للطلاب الأمريكيين، لا العامية.

بقي بعد الدراستين حول العربية في أندونيسيا والولايات المتحدة ثلاثة بحوث حول العربية في إيران ومالطة وفلسطين المحتلة:

١- العربية في إيران: تأليف بروس أيخهام من جامعة لندن، صدرت الترجمة بالقاهرة ٢٠٠٢ م.

٢- العربية بين اليهود والعبرية بين العرب، كتب الدراسة نفتالي كنبرج من جامعة تل أبيب ورفائيل تلمون من جامعة حيفا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

٣- العربية في مالطة: تأليف مانويل مفسد من جامعة مالطة، ألبرت برج رئيس معهد علم اللغة جامعة مالطة.

البحوث الخاصة بالقسم الثاني حول المهاجرين العرب إلى: (البرازيل - لندن- هولندة - ألمانيا)، ونختار منها مثالين أيضًا، هما:

أولًا – الجالية المغربية في هولندة، دراسة اجتماعية لغوية تأليف جون إكسترا وجان جاب دي، من جامعة تلبرج، هولندة، نُشِرت الترجمة عام ٢٠٠٨ م، من الأشياء التي تميز الغرب وتكسبه قوة وتقدمًا أنه يلجأ في كل ما يحزب ويهم إلى البحث العلمي والمشاريع البحثية، ومن هنا كانت هذه الدراسة.

إن الغرب تؤرقه قضية اندماج المهاجرين العرب في المجتمع الغربي، وهو يلجأ في هذا إلى تعليم لغة الأم (العربية) على اعتبار أن البداية بلغة الأم، وثقافة الأم تجعل المهاجرين يقبلون على تعلم اللغة الثانية لغة المهجر، ويقبلون بثقة وبرغبة من داخلهم، ومن ثَم فإن تعليم لغة الوطن الذي جاء منه المهاجر يشجِّعه، ويدفعه نحو لغة الوطن الجديد.

هذا عن الجيل الأول من الكبار، أما الأطفال فإن الغرب يرى أن لغتهم العربية ولغة أبائهم تتآكل لصالح اللغة الهولندية، ولكن ترى هؤلاء الصغار والصغيرات عندما يكبرون ويصيرون آباءً وأمهات، هل تتآكل عربيتهم ويتحولون عن ثقافتهم الإسلامية، أيصبحون عربًا مسلمين أو هولنديين مسيحيين، ومن ثَم كانت هذه الدراسة الأكاديمية من جامعة تلبرج الهولندية.

ونختم باقتباسٍ من الدراسة، نلخصه فيما يلي:

١- الهولنديون يرون أن أسر الأقليات العرقية- ومنهم العرب- يجب أن تتخلى عن لغة الأم، وأن تتحول إلى الهولندية، وعلى أبناء وأطفال هذه الأقليات العرقية أن يستنفدوا كلَّ طاقاتهم في تعلم اللغة الثانية بدلًا من تضييع وقتهم في الحفاظ على اللغة الأولى (العربية).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

٢- ومن هنا فإن تعدد اللغات ينظر إليه في هولندة باعتباره مشكلة، وليس مورد ثراء وسَعة، فقد أوضحت الدراسات أن المهاجرين الهولنديين إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا قد هجروا لغتهم الهولندية إلى حد كبير، وخلال جيل واحد فقط، وتحولوا إلى الإنجليزية، وأن الكثير من الهولنديين المهاجرين لا يرون في الهولندية قيمة أساسية في هويتهم الثقافية، وهذا ما لا نجده في غير الهولنديين من الجماعات العرقية المهاجرة[١].

ثانيًا – المهاجرون من الأقطار العربية إلى ألمانيا، الوضع اللغوي وتعليم لغة الأم، نشرت المترجمة ٢٠٠٨ في الفترة الأخيرة جذبت طبيعة اللغة العربية المتميزة عن اللغات الأروبية، ومنها الألمانية، جذبت هذه الطبيعة انتباه المعلمين والباحثين الاجتماعيين الألمان، هذه الدراسة ركزت على مجموعتين من المهاجرين العرب، اللبنانيين، ثم اللاجئين الفلسطينيين في برلين حاضرة ألمانيا الموحدة، والعمال المغاربة الذين نزلوا (دورتماند) والتي تقع في الغرب الألماني.

تقدم الدراسة تقريرًا عامًّا حول هجرة العرب إلى ألمانيا مصحوبًا بوصف لتعليم اللغة العربية في ألمانيا، مع الأخذ في الاعتبار التطور المستمر لتعليم لغة الأم للأقليات الاثنية، بما في ذلك أطفال المهاجرين العرب من أقطار مختلفة.

القسم الثاني والثالث والرابع من الدراسة تضمن بعض النتائج المختلفة من الجانب الميداني للدراسات المتعلقة بنشأة تعليم لغة الأم في المهجر وتنظيمه، ثم تأثير هذا التعليم في الاستخدام اللغوي.

في هذا الجانب– أي: الحديث عن المهاجرين العرب– بقيت ثلاث دراسات، هن:

---

[١] راجع ص ٥١، ٥٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

١- لغة المهاجرين اللبنانيين في البرازيل، دراسة معجمية، تأليف نيوزا نايف نبهان، من جامعة ساوباولو- البرازيل- نشرت ٢٠٠٦ م، حاولت الباحثة دراسة التداخل في لغة المهاجرين اللبنانيين، بين اللهجة اللبنانية وبين لغة المهجر البرتغالية لغة البرازيل.

٢- اللهجة المغربية في هولندة، الاكتساب والفقدان، تأليف عبدالرحمن العيساتي، كيس دى بوت، من جامعة نيمخن هولندة.

٣- المهاجرون العرب في لندن عندما يجتمعون من أقطار عربية مختلفة، بأية لهجة يتحدثون ؟ هذه قصة هذا البحث الذي جاء بعنوان: (التفاعل اللهجي: أمثلة من كلام ثلاث جاليات عربية في المملكة المتحدة) تأليف فريدة أبو حيدر.

العمل الذي قمنابه:

كان يبدأ بالترجمة، كنا نقوم بهذا العمل معًا، يراجع بعضنا بعضًا في كل كليمة وحريف، فإن كان ثَم عقبات أو مشكلات تركناها لي كي أعالجَها.

كنت آخذ مسودة ما ترجمناه- نحن الاثنين- أنا والدكتور أحمد فريد أراجعه بالكلمة والحرف لأقوم بما يلي:

١- نشر النص الإنجليزي عام ١٩٩٤، بدأنا نترجم بدءًا من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٨ م، ومن ثَم كان علينا أن نحدِّث ما يحتاج إلى تحديث من المعلومات التي جاءت في النص الأصلي، مثل؟

مثل: ما ورد في نص بحث اللغة العربية في إيران، قال المؤلف بروس آيخهام: وبرغم قدرتهم- متعلمي العربية في إيران- على تصريف الأفعال، إلا أنهم يفتقرون إلى التدريب على تكوين الجمل، وترجع معرفتي بهذا إلى بداية الستينات، أيام الحكم البهلوى، ولا أدرى إن كان هذا تغير كثيرًا حتى في هذه الأيام[١]؟

[١] اللغة العربية في إيران، ترجمة د.أحمد أبوالخير - د.أحمد فريد، القاهرة ٢٠٠٢ م، ص ٢٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والحق أن الوضع تغير الآن كثيرًا عن أيام بهلوي الذي كان معاديًا للعرب ولثقافة العرب ولغتهم[1]؛ بل وصل الحد إلى محاولة إحلال الحرف اللاتيني مكان الحرف العربي، لولا أن مستشاريه الألمان نصحوا بالإبقاء على الحرف العربي.

نص دستور الجمهورية الجديدة: بما أن لغة القرآن والمعارف الإسلامية هي العربية، وأن الأدب الفارسي ممترج معها بشكل كامل، لذا يجب تدريس هذه اللغة، بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة المتوسطة في جميع الصفوف والحقول الدراسية. (المادة ١٦).

تحول من العداء للعرب والعربية إلى محاولة التقرب من العرب، وإقامة الجسور معهم، وهذا ما أثر بلا شك في وضعية العربية داخل إيران، وخارجها، ومن هذا إقامة فضائيات ناطقة بالعربية على مدى الساعة، مثل (العالم) ثم فضائية الكوثر التي تقطع إرسالها سويعات قبل الفجر[2]، ثم المشاركة الفعالة في مؤتمرات اللغة العربية، فضلًا عن مسلسلات ناطقة باللغة العربية (يوسف الصديق – مريم المقدسة...) إلخ.

٢- كنا نقوم أيضًا بالتعليق على كل كلمة أو عبارة تحتاج إلى تعليق، أو تفسير أو إيضاح.

٣- التقديم للنص الذي عُهِد به إليَّ، والذي تضمن أحيانًا معلوماتٍ لغويةً مهمةً، كما سيأتي.

٤- تقديم خرائط موضحة للمواضع والبلدان التي جاءت بالنص، أو المقدمة.

قابلتنا صعوبات جَمَّة في هذا الطريق، حاولنا أن نُذلِّلَها، لا أن نتجاوزها، نتجاهلها، أو أن (نبلعها)، وقد استعنا في هذا بعدة آليات، أهمها:

---

[1] السابق، ص ٢٧.

[2] راجع مقدمة المترجمة، ص ١٠ وبعدها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

١- استشارة الزملاء[١] ومناقشتهم سيَّما المتخصصين في الإنجليزية، أو في الجغرافيا، أو التاريخ...إلخ، أو ما نتوسم أنه يمكن أن يساعدنا.

٢- الشبكة الدولية: الواقع الأكيد أن هذي الشبكة قدمت لنا خدمات جليلة، وفتحت مغاليقَ كثيرةً من الألفاظ والقضايا، مثل:

أ- في بحث: (العربية بين اليهود والعبرية بين العرب) اكتشفنا ألفاظًا ليست من اللغة الإنجليزية، وهما على وجه التحديد:

- ulpanium

- yishov

وبما أنني درست العبرية ثلاث سنوات في دار العلوم، فقد ذهب وهلي وتصوري إلى أنهما من اللغة العبرية، وبالفعل هما كذلك، الكلمة الثانية وجدناها في أربعين موقعًا باللغة العبرية، وتُكتَب بالحرف العربي (يشوف).

لقد اتضح لنا أن اليهود لهم معجم خاص بهم، يستخدم ألفاظًا عبرية- كما سبق- مع أن النص ليس عبريًّا، ليس هذا فقط؛ بل نفس اللفظ العربي أو الإنجليزي يستخدم بمعنى مختلف عما عرفه أصحاب اللغة ومتعلموها، ولحسن الحظ عثرنا على نص هذا المعجم في الإنترنت، باللغة الإنجليزية، ولعلنا نجد فرصة لترجمته إلى العربية.

على أي الأحوال اتضح أن yishov تعني الاستيطان، وهو في معجم اليهود نوعان old yishov الاستيطان القديم قبل فكرة المشروع الصهيوني في فلسطين ١٨٨٢، ثم new yishov؛ أي: الاستيطان الجديد، والمقصود بالاستيطان الهجرة اليهودية والاستقرار في فلسطين.

الثانية: ulpanium المدارس التي تعلم المهاجرين اليهود إلى فلسطين اللغة العبرية.

١- وقبل هذا كله وبعده الرجوع إلى المصادر والمراجع والكتب والمعاجم ودوائر المعارف المختلفة، ما أمكن الاستعانة به من كل ما سبق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ب- في بحث: (الجالية المغربية في هولندة، دراسة اجتماعية لغوية) رأينا كلمة urbans فهمت من خلال النص أنها تعني أهل (أوربا) urban شكلها من خلال خبرتي بالخرائط والجغرافيا أنها جزيرة، وقد صح أنها كانت كذلك، أو هي كذلك، لكن أين تقع هذه الجزيرة ؟ كنت أقلب الخرايط والأطالس غربًا وشرقًا حتى عرَفت من الإنترنت أن هذه الجزيرة تقع ضمن مجموعة جزر تابعة للتاج الهولندي، هذى الجزر تقع شمال فنزويلا، أو شمال أمريكا الجنوبية، في البحر الكاريبي، معلومات كاملة عن الجزر التي تقع ضمن الممتلكات الهولندية؛ بل قدمنا معلومات عن لغات هذه الجزر، واللغة الرسمية فيها، ومكوناتها، ونماذج من هذه اللغة، كما هو واضح في مقدمة الترجمة.

٣- وفي بعض الأحيان كتبتنا إلى مؤلف نفسه، كما حدث مع (ألبرت برج) لقد ورد في بحث (العربية في مالطة) هذه كليمة سألناه عن معناها، فأفاد: cantilena: كلمة إيطالية، معناها قصيدة غنائية، تتألف من عشرين بيتًا، نظمها الشاعر (بيتركاسارو) ت ١٤٨٥م، هذه القصيدة أقدم نص من اللغة المالطية القديمة، اكتشف إلى الآن.

حيث إن المالطية هي إحدى اللهجات المغربية في الأصل، ثم بانت عن العربية، وانقطعت عنها؛ لأنها كُتِبت بالحرف اللاتيني، إضافةً إلى دخول ألفاظ إيطالية عدة، ثم إنجليزية في العصر الحديث.

جدير ذكره أن بعض المترجمين كتب هذه الكلمة فقط بالحرف العربي أي (كنتلينا)؛ لكنا آثرنا أن نفقه كُنْهَها وأصلها وفصلها، وهو ما كان بسؤال المؤلف نفسه، أو بتعبير أدق أحد المؤلفين.

ألبرت برج زارنا في مصر عام ٢٠٠٣ م، استضفناه في يوم بالقاهرة العتيقة، وأعطيناه بعض ما ترجمناه، خاصة (العربية في مالطة).

٤- أحيانًا كنا نكتب لبعض الزملاء، كما حدث في ترجمة بحث: (الجالية المغربية في هولندة، دراسة اجتماعية لغوية)، جاء الباحثان بتفاصيل أسماء بلدان ومديريات المهاجرين المغاربة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

إلى هولندة، ولم نسطِعْ عن طريق الخرايط والأطالس- وكذا الإنترنت- أن نصل إلى ما نريد، خاصةً أن أسماء هذى المواضع كانت تُكتب بالحرف اللاتيني، كما في Fes فاس، ولذا لجأنا إلى بعض الأكاديميين المغاربة من الزملاء في الجامعات المغربية حتى تمكنا من ترجمة كل التفاصيل التي ذكرها المؤلفان (جوس إكسترا-جان جاب دى).

هذه الوسائل الأربع:

- استشارة الزملاء هنا في مصر.
- الشبكة الدولية.
- مراجعة المؤلف نفسه.
- استشارة الزملاء خارج مصر، سيما من المغرب.

تيك الوسائل لم تكُ تغني عن الرجوع إلى المعاجم المختلفة ودوائر المعارف والمراجع والمصادر المتنوعة، وقد تمكنا من الوصول إلى معطيات لغوية مهمة من خلال بعض المصادر والمراجع، مثل: كلمة Sandhi التي وردت في بحث: (اللهجة المغربية في هولندة، الاكتساب والفقدان) هذه الكلمة تبدو غير إنجليزية الأصل، وبالفعل عندما سألنا أحد الزملاء في بيروت أفاد أن الكلمة سنسكريتية (هندية قديمة) ولم نكتفِ ببيان أصلها؛ بل اقتبسنا من هذا الزميل البيروتي[1] ما ذكر عن ظاهرة الصهر اللغوي، وحاولنا تطبيقها على اللغة العربية، كيف؟

الصهر في الكيماء: تحويل المادة بالحرارة من الصلابة إلى السيولة، أما الصهر اللغوي فهو: (سلوك الكلمة إذا وقعت في جملة أو نص) هذا السلوك يتغير إذا وضعت الكلمات المفردة في جمل إلى جانب بعضها، وهذى أمثلة:

[1] بطبكي: معجم المصطلحات اللغوية، مادة (ص هـ ر).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

- ألف الوصل في العربية تُنطق أول الكلام، وتسقط في درجه؛ أي: وسطه؛ مثل: اسمى أحمد – إن اسمى أحمد، في الحالة الأولى تُنطَق ألفُ الوصل، وفي الثانية لا تُنطق.

- حذف نونى المثنى والجمع في الإضافة، وكذا التنوين في المفرد: (كتابا النحو–صائمو رمضان– ساعة الصيام).

ليس هذا فقط؛ بل إنه من خلال الأمثلة التي ذكرها الباحثان من اللهجة المغربية حاولت المقابلة والمقارنة بين تيك اللهجة وبين الفصحى التي تمنع بدء الكلمة أو المقطع بصامت ساكن أو بأكثر، في حين تبيح هذا المغربية، مثل (كتب–قتل) وهما في الفصحى (اكتب–اقتل)، وفي مثل: (نحل) في الفصحى نجدها في المغربية (نحل) بسكون الصوامت الثلاثة المتجاورة، مقطع مكون من ثلاثة صوامت فقط، لكن الفصحى تأبى أن يأتي المقطع من الصوامت فقط، أو الحركات فقط، يبدأ المقطع بصامت وينتهي بحركة أو صامت أو صامتين، كما في (ما–من–بدر) وهكذا[1] [٢].

والشيء بالشيء يُذكَر، فلا يُعاب من أحد ولا يُنكر، ففى دراسة نيوزا نبهان (لغة المهاجرين اللبنانيين في البرازيل، دراسة معجمية) ستة وثلاثون جدولًا مختلفًا يذكر الكلمة أو التداخل على ألسنة اللبنانيين، وإلى جانبهما الكلمة في اللغة البرتغالية ثم المعنى.

من خلال هذه الجداول الستة والثلاثين تمكنا من إجراء تقابلات ومقارنات بين العربية والبرتغالية– لغة البرازيل– والتي تنتمي إلى أصول لاتيية كالأسبانية، لكن الأخيرة تفوقها بكثرة الكلمات والعناصر العربية عن أختها البرتغالية، التي تجدها في البرازيل فقط، شقيقتها الأسبانية نجدها في الأمريكيتين– عدا كندا والولايات المتحدة؛ حيث تسود الفرنسية والإنجليزية– ومن ثَم سُمِّيت أمريكا الجنوبية والوسطى والمكسيك بأمريكا اللاتينية؛ لأنه تسودهما لغتان تنتميان إلى اللاتينية، هما البرتغالية في البرازيل، والأسبانية فيما عداها.

---

[1] راجع مقدمة الترجمة، ص ١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

حين نعود إلى المقابلة بين البرتغالية والعربية، الأولى فيها أداة إضافة de في حين لا نجد هذا في العربية، التي تميز المضاف- كما سبق- بحذف نونات المفرد والمثنى والجمع، فهي تميز بالسلب والنقص، وليس بزيادة عنصر على المضافين.

الكسرة العربية ضيقة /i/ وكذا الضمة/u/في حين نجد في البرتغالية ضمة ممالة /o/ وكسرة أيضًا ممالة / e/ هكذا، ومن ثم فإن اللبنانيين يحولون الضمة والكسرة البرتغاليتين الممالتين إلى الضمة العربية الضيقة والكسرة /i-u/[1].

نعود إلى فيرستيخ مقدم الإصدار ومحرر، زار القاهرة ٢٠٠٢، فأطلعناه على بعض المترجمات التي سر بها وبترجمة المجلة، وفي العام التالي ٢٠٠٣ صدر للرجل في قاهرة المعز كتاب: اللغة العربية تاريخها ومستوياتها[2] وتأثيرها.

وفي – الخاتمة – نقول:

إن الجاليات العربية التي هاجرت إلى أوربة لم تلقَ في جميع الأحوال عن رضا ورغبة من الأوربيين، ففى ألمانيا مثلًا علت تصريحات الساسة لسنوات طوال بأن الجمهورية الاتحادية الألمانية- الغربية سابقًا- ليست دار هجرة، إلا أن هذا البلد وغيره شهد تدفق أقليات لغوية وثقافية متعددة، خاصة خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي، ما أدى في النهاية إلى مجتمع متعدد اللغات والثقافات في قلب أوربة على الأقل من الناحية العملية الواقعية[3].

قارة أوربة قارة ضيقة المساحة، وكذا دولها أيضًا، مقارنة بغيرها من الدول والقارات، مساحة أوربة عشرة ملايين ك م، المساحة الأقل بين قارات العالم، إفريقية فقط ثلاثة أضعاف مساحة أوربة، هذه المساحة الصغيرة موزعة بين أكثر من أربعين دولة، وهذه مساحات بعض دوله، أمثلة وعينة:

---

[1] راجع مقدمة الترجمة، ص ١١٠ وقبلها.

[2] ترجم الكتاب من الإنجليزية محمد الشرقاوي في هذا الكتاب صورة دقيقة لتاريخ العربية ووضعها الراهن، داخل الوطن العربي وخارجه.

[3] المهاجرون من الأقطار العربية إلى ألمانيا.....ص ٨٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

- إيطالية = ٢٠٠ ألف ك م تقريبًا.
- سويسرا= ٤٠ ألف ك م تقريبًا.
- هولندة = ٤٠ ألف ك م تقريبًا.

بسبب ضيق هذه المساحة تولدت الأنانية الأوربية وعدم قبول الآخر؛ إذ هم لا يحبون من هاجر إليهم، ويتمنون أن يذهبوا- أو أن يذهب بهم - إلى بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي، ومن ثم هاجس الأوربيين الدائم: مَن الآخر؟ وكيف يدمجونه في المجتمع المسيحي الأوربي، ولذا هم يحظرون المآذن والنقاب؛ لأنهم لايؤمنون بالآخر وحرية الآخر، وحقه في استقلال شخصيته عن المجتمع من حوله، على عكس ما نراه هنا في منطقة جنوب شرق آسيا مثلًا، ومن ناحية أخرى فإن الحفاظ على اللغة والثقافة والهوية لا يتماشى مع النظرة المادية النفعية التي يؤمن بها أهل أوربة.

وهذا اقتباس من بحث: (الجالية المغربية في هولندة...[1]) جاء بتصرف:

إن المهاجرين الهولنديين إلى كندا والولايات المتحدة وأستراليا قد هجروا لغتهم الهولندية خلال جيل واحد فقط، تحولوا إلى اللغة الإنجليزية.

ومن ثم فإن اتجاه كثير من الهولنديين داخل هولندة وخارجها نحو لغتهم وثقافاتهم لا يمكن أن تجده لدى الجماعات العرقية في هولندة نحو ثقافتهم ولغتهم.

وهذا مثال آخر من مالطة: يفضل الأباء المالطيون التحدث إلى أطفالهم بالإنجليزية فقط؛ بل وخلال سنوات عمرهم الباكرة، إما من باب التعالي على المالطية، أو لتصورات لغوية مشكوك في صحتها، بعض الآباء يكررون فقط وبلا وعي سلوكيات فرضتها عليهم الأسرة التي نشؤوا فيها، وذلك تجاه اللغة المالطية.

---

[1] ص ٥٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

إن نسبة كبيرة من المالطيين تتكلم لغتين أو أكثر؛ بل إن المالطي العادي يتكلم الإنجليزية والإيطالية على الأقل، وليس المهم بعد ذلك أن يتكلم المالطية[1]، أو لا يتكلمها، ألبرت نفسه أحد مؤلفي النص يتكلم الإنجليزية والفرنسية، والعربية أحيانًا.

إذن فهاجس أوربة المهم هو كيف يدمج هؤلاء المهاجرون في المجتمع الأوربي، لكن الطريف أن يرغم نتائج البحوث المتكرره التي تؤكد تآكل اللغة العربية على ألسنة المهاجرين العرب، وخاصة لدى الأطفال، ومن الجيل الثاني والثالث، إلا أن هذه (الأوربة) قلقة جدًّا من هؤلاء القاصرين والقاصرات، الصغار والصغيرات، هل سيكون نحوهم نحو النحو العربي، ونحو قواعد الثقافة العربية الإسلامية، أم نحو قواعد الثقافة المسيحية الأوربية ؟ هذا مبعث قلق الأوربيين.

ومن ناحية أخرى فإن محرر العدد ومقدمه المستشرق كيس فرستيخ يرى أن صورة العربية لا تتضح بشكل كامل إلا إذا نظرنا إليها خارج وطنها، وهذا حق وصدق وعدل.

لكني أرى الغرب على عجب من تأثير العربية وانتقال هذا التأثير من المسلمين إلى غير المسلمين، ومن الماضي إلى الحاضر الراهن، هذا هدف مصدري المجلة حول العربية خارج الوطن العربي، كيف أثرت العربية في الأمم والشعوب وبهذه الصورة ؟

ولعل الغربي يعجب كيف أثرت العربية في إفريقية لغةً وثقافةً، وكيف أثرت في الأندونيسية وغيرها مع طول استعمار اللغات الأوربية لقارتي آسيا وإفريقية، وعدم استعمار العربية لتلكم الأقطار؟ ولعل السر في تصورى هو قدرة العرب على قبول الآخر، الاختلاط به، والتفاعل معه، وعدم التعالي عليه؛ بل إن علاقات العرب مع العالم، خاصة في إفريقية وآسيا تمتد إلى قبل الإسلام، العرب إذا دخلوا قرية أو مدينة امتزجوا بأهلها، بيعًا وشراءً، سكنًا، وزواجًا متبادلًا، دون تعالٍ أو غرور.

وكلما اختلط الناس أو الفرد مع غيرهم أثَّروا فيهم، على العكس من هذا فإن العزلة والتعالي تحجب التأثير وتدفعه إلى الاختفاء والابتعاد، وهكذا عاش الأوربي مستعمرًا متعاليًا على الناس

[1] العربية في مالطة، مقدمة المترجمة، ص ١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والشعوب، وعاش العربي مختلطًا ممتزجًا بهذي الشعوب، خاصة بعد الهدي المحمدي والقرآني، حيث دهست العنصرية تمامًا؛ بل اعتبرت العصبيةَ مُنتِنةً.

- (يا أيها الناس إنا خلقناكم - من ذكر وأنثى - وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - إن الله عليم خبير)[1]

- قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم: «أدخل الإسلامُ بلالًا في نسبي، وأخرج الكفرُ أبا لَهَبٍ [2] من نسبي».

أما نحن العرب- نحن المترجمين- لماذا قمنا بهذا العمل ؟ هذا شيء كتبه الآخرون عن لغتنا، ومن ثَم فإن الواجب ومنطق البداهة قد فرضا علينا هذا العمل.

ومن ناحية أخرى فإن كثيرًا من الناس في الشرق والغرب يطبِّلون دائمًا لكل ما يصدر عن أوربة والغرب، ومن ثَم نحن نعطي للباحثين العرب ومتعلمي العربية في العالم صورة لما عليه الفكر اللغوي الغربي، والذي تمحور في هذه المجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقي حول لغتنا ومهاجرينا العرب إليهم، نحن نقارن بين ما يكتب في العالم العربي من فكر لغوي عربي — أو خارج العالم العربي من متعلمي العربية — وبين الإنتاج الأوربي.

والحق أن هذا الإصدار عمل علمي لغوي متقدم ومتميز، ولكننا في الكتابات العربية لدينا ما يطاول هذا العمل، وربما ما يفوقه، لكنهم يبالغون في محاسنهم، وتسويق أنفسهم وإنتاجاتهم، ونحن على العكس كثيرًا ما نحاول جلد الذات، ونفي الإنتاج المبدع عن كتاب العربية وفرسانها.

هم أحيانًا يُحيون أمواتهم، ونحن أحيانًا نميت أحياءَنا ومبدعينا، ولا ننسى أن أسماء عربية ظهرت في سماء هذا الإصدار:

---

[1] الحجرات: ١٣.

[2] ماضي أبو العزائم، الإسلام وطن القاهرة ١٩٧٣، ص ١٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

١- فريد أبو حيدر كتبت عن المهاجرين العرب إلى المملكة المتحدة.

٢ - نيوزا نبهان كتبت عن المهاجرين اللبنانيين إلى البرازيل.

٣ - مهدي العش كتب عن اللغة العربية في الولايات المتحدة.

٤ - عبد الرحمن العيساتي، شارك مع آخر في الكتابة عن اللهجة المغربية في هولندة.

فإذا كان الإصدار احتوى عشرة بحوث فإن العرب أسهموا شكلًا وإحصاء في حوالي ٤٠ % من هذا الإصدار، ومن ناحية الجودة والمضمون، فإن ما أسهم به هؤلاء العرب في الإصدار مهم وذو قيمة علمية واضحة، هذا جزء من مهام العرب في هذا الإصدار المهم: العربية خارج العالم العربي

والآن وبعد هذا كله نتمنى أن نجد جامعة عربية أو مؤسسة تقوم بطباعة النسخة العربية من الإصدار، ولو بعض البحوث، ونحن على استعداد لتقديم الأصول الورقية والإلكترونية للمترجمات، وللنص الإنجليزي الذي ترجمنا عنه، ولشراء بعض النسخ، والله الهادي إلى سبيل الرشاد!

الأستاذ الدكتور أحمد مصطفى أبو الخير

جامعة جالا الإسلامية

شبكة الألوكة - قسم الكتب